

مشروعها الاستيطاني من القوى الأخرى التي تتصنع المرونة والتفهم والتحدث بلغة العصر، قد عرّضت تعايش التكتلين لأزمات واحتقانات عدة. وإذا كان هذا التعايش نجح في تجاوز، أو تجميد، ما واجهه من أزمات سلطوية، واقتصادية، ومجتمعية، وسياسية، وعقائدية، فإن شلل هذا التعايش يبدو بلا علاج إزاء طروحات التسوية السلمية الرائجة، وإزاء الوقائع التي يخلقها، على الأرض، تقدم الظاهرة الفلسطينية. وبينما لا نرى أية امكانية لاستسلام اسرائيل طوعاً، ولو جزئياً وتكتيكياً أمام هذا التقدم في سياق الصراع المتجدد والمتجدد، حيث تفرض طبيعتها ومبررات المشروع الصهيوني أصلاً الدفاع بشراسة عن كل ما أنجز على حساب الوجود الفلسطيني، وحيث أن حدود المساومة الصهيونية التي قد تسمح ببعض مناورة، أو مرونة، في التعامل مع مسائل العلاقة مع الدول العربية المتصارعة مع اسرائيل، تقف تماماً عند خط أحمر عندما تصل إلى مسائل العلاقة مع الطرف الفلسطيني، فهنا لا تملك أية قيادة إسرائيلية سوى التركيز على تفتيت، وتحييد، العوامل الضاغطة عليها، وتوجيه هذه العوامل ضد بعضها بعضاً، وهو ما حاولته اسرائيل، باستماتة حتى الآن، دون أن تصيب نجاحاً حاسماً، فإن التحسّب للجوء اسرائيل إلى التفاف عن تلك العوامل، عبر مغامرة تنقل الضغط والتوتر إلى الخارج، يصبح تحسّباً مشروعاً ومنطقياً؛ بل ونزعم انه احتمال مرجح، تسعى اسرائيل، عبره، إلى إعادة ترتيب الأمور محلياً، وإقليمياً، على قاعدة الأساس التكويني والعقدي للمشروع الصهيوني، المتناقض، جذرياً، مع الوجود الفلسطيني.

٣ - على غطرسة، وعجرفة، وموشي دايان، فلربما كان «معتدلاً» في نظره إلى العرب، وأسلوبه في التعامل معهم، قياساً برموز ما اصطاح على وصفه بالقوى الصهيونية المتطرفة. وإن نستذكر نموذجاً لنظرة دايان إلى العرب، ثم نقارنه بنماذج لنظرات تلك الرموز إليهم، فلكي نحدّد خلفية التصرف الصهيوني المتوقع، للخروج من أزمة الشلل في مواجهة، وايقاف، تقدم الظاهرة الفلسطينية، وفي التعاطي مع لعبة التسوية السياسية للصراع العربي - الاسرائيلي في ظل تسارع متغيرات جذرية في معادلة التحالفات والعلاقات الدولية. قال دايان، في مطلع العام ١٩٦٨: «يعيش العرب في عالم غير حقيقي. وهم يفعلون ذلك، غالباً، مثل شخص يحتاج إلى الحشيش حتى يحسّ بأنه يعيش في جنة عدن. فالحقيقة، بالنسبة إليهم، هي الجحيم [١] والعلاج هو ابتلاع حبة من حبوب الكذب التي تعطيهم الاحساس بالجنة. غالباً ما يبدو لي ان كل العرب - وعلى كافة المستويات - يتصرفون كما لو كانوا تحت تأثير المخدر. والحقيقة ان الوهم أسوأ من الكذب. فأنت قد تكذب عامداً وتسيطر على كذبتك، أمّا بالنسبة الى الوهم، فهو الذي يسيطر عليك في النهاية... إن عقليتهم تقف كأنها حاجز بينهم وبين الواقع، وتمنع عيونهم عن ان تراه كما هو. إنهم يفضلون تجاهل الواقع، ما دامت المفاهيم الخيالية، التي يعيشون على هديها، لم تتحطم بعد»^(٧). هذا النموذج، الذي تمثله نظرة دايان الى العرب، قبل أن تتحطم صورة «رامبو» التي صيغت له في الذهن الأميركي، والأوروبي، لا يختلف عن النظرة الاسرائيلية الجمعية السائدة التي لا تزال تحكم، إلى حد بعيد، التعامل الاسرائيلي تجاه العرب، والتي تراهم انفعاليين نتيجة «ضعف حضاري»، «عدوانيين»، يسيطر عليهم «شعور حاد مزمن بالاحباط»، ذوي «كسل فطري وعقم فكري». وانطلاقاً من هذه النظرة، جعلت إسرائيل من مهامها «تحطيم المفاهيم الخيالية التي يعيش العرب على هديها» في ما يخص اسرائيل، ونقلهم من «العالم غير الحقيقي» إلى «الواقع»، عبر إحداث انقلاب في عقليتهم ومفاهيمهم، يجعلهم يكتشفون أن أهدافهم الوطنية «مفاهيم خيالية»، وأن حقوقهم «وهم»، وأن ارتدادهم عن تلك الحقوق هو وصحة من «خدر الحشيش» وانسجام مع «الواقع». ونعترف بأن اسرائيل، مستفيدة من المعادلة الدولية،